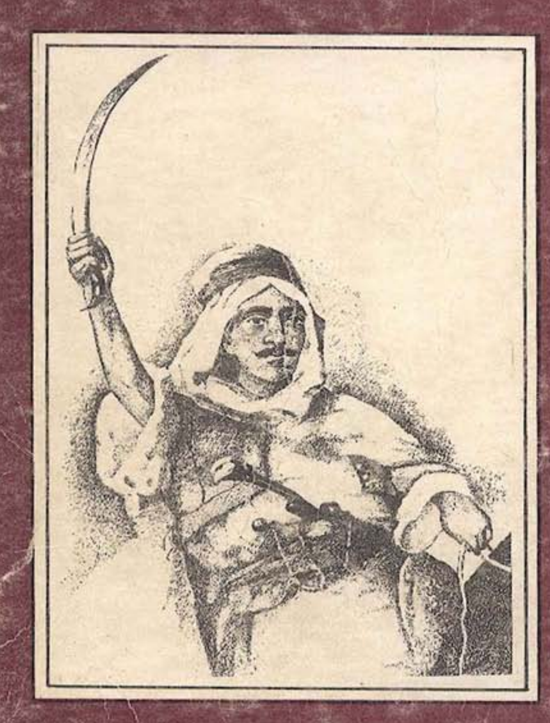
الدكتور عبد الجليل التميمي



بحوث ووثائق



The Petition of the ...
Mahammed ...
to the Honorable House ...
Commons

Sheweth



في التاريخ المغربي

1816 ~ 1871

الـدار التونسـية للنـ

VI

حسونة الدغيس الطرابلسي وقضية الماجور لاين

حسونة الدغيس الطرابلسي

وقضيـة المـاجـور لايـن

اقترن اسم حسونة الدغيس بقضية وثائق الماجور لاين (1) اذ أن المؤرخين القلائل الذين تناولو بحث هاته القضية ، لم يقدموا لنا اى معلومات حول نشاط وتفكير حسونة الدغيس السياسي ·

ومن الغريب جدا ان نلاحظ ان حسونة لم يقترن اسمه بقضية الماجور لاين فقط ، بل وايضا بقضية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ثم نشاطه بلندن وباريس ، والتحاقه باستنبول حيث عمل فى المصالح العثمانية · وتكشف لنا وثيقة أخرى ، كانت قد وجهت الى حسونة بتاريخ 15 رجب 1231 / 11 جوان

(1) كشاف انقليزى من شمال بريطانيا ، وهو اول الاوروبيين الذين وصلوا حتى مدينة تمبكتو . ولد بمدينة ادنبرة فى 27 ديسمبر 1793 ، وبعد خدماته فى غرب الهند، انضم الى الفيلق الملكى الافريقى (Royal African Corps) 1822 ، وقد ارسل فى نفس هاته السنة . من طرف الحاكم شارل ماكرتى (Charles MAC-CARTY) الى بلاد مندوقو (MANDOGO) لغرضين اثنين : العمل على ازدهار التجارة ، وثانيا العمل على منع تجارة الرقيق فى هاته المنطقة . وفى هاته البلاد عثر الماجور لاين على منبع روكل (ROKALL) كما قام بدور نشيط فى حرب اشنتى (ASHANTI) (1823 ـ 1824) .
طلب اليه وزير المستعمرات البريطانية ان يقوم باكتشاف تمبكتو . وعليه غادر الماجور لاين بريطانيا فى شهر فيفرى 1825 . وبتاريخ 14 جويلية تزوج من الانسة امة ورنقتن (Emma WARRINGTON) بنت القنصل الانقليزى بطرابلس الغرب . وبعد يومين من زواجه بطرابلس الغرب ، شق الصحراء ، وقد وصل غدامس عن طريق اكتشافه طريقا جديدا ، فى شهر اكتوبر 1825 . وفى شهر ديسمبر وصل الى منطقة توات (TOUAT) وفى 10 جانفى 1826 ، غادر توات شاقا صحراء تنزروف (TANEZROUFT) ليصل الى مدينة تمبكتو فى 12 سبتمبر 1826 ، بعد مشاق كثيرة . وفى نفس الشهر غادر تمبكتو ، غير انه اغتيل فى ليلة 26 سبتمبر 1826 . اما وثائقه فلم يعثر عليها مطلقا .
نشر بلندن سنة 1826 ، كتابه :
« **Travels in the Timannee Kooranko and Soolima Countries in Western Africa** ».

1816 أن شخصه كان مشهورا وأن عائلته كانت عمدة التجار ، كما واشتهرت بالعلم (1 مكرر) .

وبالاضافة الى ذلك يعد حسونة الدغيس أول مغربي ، وأحد الشخصيات العربية الهامة ، قبل رفاعة الطهطاوي ، عندما احتك بالحضارة الاوروبية وثمن ثمارها ، كما وأنه تمكن من مجالسة الطبقات الارستقراطية الحاكمة بأوروبا ، وعرف أبعاد تفكيرها؛ وقد كان المترجم الامين لتلك الحضارة لدى رجال الدولة العثمانيين ، عندما عهدت اليه بعض الوظائف بمركز الامبراطورية العثمانية .

وبذلك نشعر باهمية هاته الشخصية المغربية والتي سنحاول رسم خطوط حياتها ، معتمدين على بعض الوثائق التي عثرنا عليها والمحررة بخط يده .

***

نعلم ان حسونة الدغيس قد انحدر من عائلة تركية من ارض الروم ، وان جده قد وصل طرابلس الغرب في اواخر القرن السابع عشر باذن من السلطان العثماني ، ليكون نائب الوالي بطرابلس الغرب ، وان افراد عائلته قد تولت كلها ، المناصب العليا في الولاية (2) .

لا نعلم بالضبط متى ولد حسونة الدغيس ، غير أننا نعلم أن والده لما كان

(1 مكرر) الرسم رقم 173 ، 31.232 .. B.M., ADD.
فيما يلي نص الرسالة التي وجهت الى حسونة من طرف احمد بن الطيب بن محمد بن عبد السلام
« بسم الله الرحمان الرحيم .
وبعد حمد من علم بالقلم ، وشرفه بالقسم ، والصلاة والسلام على النبي الاعظم وآله الغر المصابيح الظلم ؛ فاعلى ما يهتم به ذوو الهمم في الزمن الذى افتخر غالب أهله .. (!) التودد والتظرف لمن تبع أباه في الاشتغال بما يعنيه في أمر دينه ودنياه . وماذاك الا سلالة عمدة التجار ، أعنى تجار هذا الدار وتلك الدار ، ذوو الاسرار المصونه ، كما شاهدنا يد أهل العلم بالكتب وغيرها ، أدام الله النفع به ، الفاضل بن الفاصل ، سيدى حسونة ، أحسن الله خاتمتنا واياه ، ومنحنا فوق ما تمناه ، وجمع بينه وأحبته على ما يرضيهم ويرضاه ، جمعا يسر أهل وده ، ويرغم أعداه ، وماذا أكتب مما مر على المسامع مع نعومة الغرر ، التى غبط السمع بها والبصر ، فلعمرى لو سطر القلم ما سطر من أوصافه ، فالضمير محتو على أضعاف أضعافه ، هو البحر ان حدثته عن محاكاته ، عجزت عن آستيعاب تلك العجائب ، وان رام فكرى أن يحيط بوصفه احاط عليه العجز عن كل جانب ، خلد الله جزيل نعمته لديه ، ووفقه للخير وأعانه عليه ، بجاه سيد الانام ، ونبراس الظلام ، كتبه محبكم على الدوام ، أحمد بن محمد بن عبد السلام ضحى الثلاثاء المنتصف من شهر رجب 1231 »
وفى ظهر الرسالة : يتشرف الحكم والاجل ، الا عز الاكمل ، سيدى حسونة دغيس ، نجل عز الامام الكامل سيدى الحاج محمد الدغيس .

(2) 37 / 76 .F.O ، تقرير حسونة الدغيس الى الحكومة الانقليزية ، راجع الوثيقة رقم 4 والمنشورة آثر هاته الدراسة ، ص . 303 ـ 321 .

وزيرا ليوسف باشا قرمانلي ، شجعه على دراسة ومعرفة الحضارة الاوروبية ؛ وان حسونة قد اقام : « زمنا طويلا باوروبا لدراسة لغاتها ، قوانينها ، وعادات شعوبها المختلفة . كلما وساح في بلادها وخاصة فرنسا » (3) .

اما والده فكان يهيؤه يوما ما ، لادارة شؤون البلاد (4) .

ان جريدة سيمافور دو مرساي (Le Sémaphore de Marseille) تخبرنا ان حسونة كان تاجرا وانه اصيب بافلاس : « لقد شوهد حسونة في مرساي متباهيا بالبذخ ومهديا عطوره على النساء كالسائح ازوبيك ، غير انه تنقصه فلسفته وتفكيره . لقد غادر حسونة مرساي الى لندن وهو مثقل بالديون ... » (5) .

لقد ساح كثيرا في شبابه وتمكن من معاشرة الطبقات الراقية في المجتمع الاوروبي (6) . وقد عده قنصل السويد ڤرابير دوهمسو (Graberg De HEMSO) من انه : « نادرة زمانه في المعرفة والعلم والحتضير ... » (7) .

وعندما قفل راجعا من اوروبا ، عهد اليه يوسف باشا قرامنلي ، وزارة الخارجية ، التي كان يقوم عليها والده حتى وفاته سنة 1826 (9) . وفي آخر هاته السنة نفسها بينما كان حسونة ، بقرطاج طلبا للراحة والاستجمام ، اتصل آنذاك بامر رجوعه الى طرابلس الغرب (10) .

وفي ذلك الوقت كانت الخصومة بين القنصل الفرنسي البارون روسو (11)

---

(3) **A.E.**، **القسم السياسي طرابلس الغرب الدفتر ، رقم 2** ، رسائل حسونة الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 13 سبتمبر 1832 ، راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة ص 295 . 302 .

(4) **F.O. 76 / 37** محضر حسونة الى مجلس العموم البريطاني . راجع الوثيقة رقم 4 ص 303 . 321 .

(5) راجع عدد 12 سبتمبر 1829 .

(6) **ROSSI Ettore, Storia di Tripoli e della Tripolitania della conquesta arab al 1911.** ص 279 . ملحوظة رقم 75 ، رومة ، 1968 .

(7) **المصدر نفسه** .

(9) مكاكي ، رودولف ، ترجمة طه فوزي ، **طرابلس الغرب تحت حكم اسرة القرمانلي** ، ص 210 ، القاهرة . 1961 .

(10) **F.O. 76 / 37** ، من محضر حسونة الى مجلس العموم البريطاني ، راجع الوثيقة رقم 4 ، ص 303 ـ 321 .

(11) كان قنصل فرنسا بالبصرة (1807) والسكرتير الثاني بالبعثة الفرنسية بطهران (1807) ثم القنصل العام بحلب (1808) ثم ببغداد (1814) واخيرا القنصل العام بطرابلس الغرب (1824) ، توفي سنة 1830 . كان روسو مراسل المجمع العلمي الفرنسي واحرز على رتبة البارون .

(Le Baron ROUSSEAU) والقنصل الانقليزى ورنقتن (WARRINGTON) على أشدها حدة ، وجعلت البلاد تعيش وضعية غير عادية وقابلة للانفجار .

لما ان ديون الباشا المتراكمة والتى تحصل عليها بفائض مجحف من طرف دائنيه الفرنسيين والانقليز ، قد سهلت تدخل القنصلين المذكورين فى كل شؤون البلاد .

اما القنصل الانقليزى فقد عمل على تفوق السيادة الانقليزية على بقية قناصل الامم الاخرى ، كما وحاول ربط صداقته بحسونة الدغيس وجعله خاضعا لنفوذه واوامره (12) .

كان حسونة يتمتع بثقة القنصل الانقليزى بادىء الامر ، وقد وصفه القنصل روسو سنة 1826 من انه : « رجل شاب كله دهاء ومكر وعجب ، وعلى الرغم من الحفاوة التى استقبل بها فى فرنسا ، فانه يعد عدونا اللدود ، حيث عمل ، بدون تحفظ ، على صيانة مصالح القنصل الانقليزى (13) .

غير ان حسونة الدغيس الذى كان يدرك الوسائل الغير الشرعية التى يتوخاها القنصل ورنقتن والذى اساء استعمال نفوذ وسلطة حكومته ، بتدخله فى وضعية البلاد ، قد وجد ان مثل هذا التصرف غير معقول ، وعليه فقد اراد وضع حد لذلك (14) .

قام حسونة الدغيس باعلام يوسف باشا بتلون سلوك ورنقتن وبمؤامراته ضد الدولة والشعب ، وبالطريقة الجافة والعنيفة التى يستعملها لبسط نفوذه وهيمنته على بقية القناصل . وقد ذكر حسونة فى تقرير وجهه الى مجلس العموم البريطانى ، ان القنصل ورنقتن حاول بوسائل مخجلة وعنيفة ان يحيدنى عن طريقى ، وبذلك جعل كل الولاية تعيش فى اضطراب نتيجة مؤامراته ، كما وحاول تفقير البلاد والحط من الوالى فى اعين رعاياه ، الشىء الذى سبب عزل هذا الاخير ... » (15) .

---

(12) مكاكى ، رود ولف ، **نفس المصدر** ، ص .210 ، يذكر ان حسونة كان مستشار ورنقتن ورجل ثقته ، وعندما ظهرت قضية وثائق الماجور لاين واتهام ورنقتن حسونة الدغيس بانه سلم وثائق الماجور الى البارون روسو ، لم يفتأ هذا الاخير ان ذكر فى احدى رسائله لوزير خارجيته ، ان حسونة الدغيس هو رجل الثقة واقرب الناس الى القنصل الانقليزى ورنقتن ، راجع . A.E : **القسم السياسى ، طرابلس الغرب ملف رقم 2** ، رسالة روسو هاته بتاريخ 17 جوان 1829 .

(13) رسى ، اطورى ، **نفس المصدر** ، ص . 279 ، ملحوظة رقم 74 .

(14) **F.O** : 76/37 ، راجع الوثيقة رقم 4 ص . 303 – 321 .

(15) **المصدر نفسه** .

ومن هنا نشأ سوء التفاهم بين ورنقتن وحسونة والذى اودى بالقطيعة ثم بعزل هذا الاخير من منصبه كوزير للخارجية وتعويضه بالوزير شلبى (16) .

ان تاريخ طرابلس الغرب خلال هاته الفترة يعكس سوء التفاهم بين ورنقتن وحسونة والذى سيصبح بعد حين ، موضوع نزاع بين روسو وحسونة الدغيس من جهة والوالى يوسف باشا وورنقتن من جهة اخرى فى قضية وثائق الماجور لاين .

سوف لا نتعرض بالتفصيل لسرد حوادث هاته القضية ، ذلك اننا نرى ان التحقيق الذى اجرته الحكومة الفرنسية والذى سننشره كاملا اثر هاته الدراسة ، هو اوفى عرض واكمله لكل معطيات القضية (17) .

***

نكتشف بعد اطلاعنا على هذا التقرير ان حسونة الدغيس لم يكن طرفا فى هذا الاتهام وانه عندما شعر بخطر المؤامرة التى حيكت ضده ، خصوصا وان الباشا صهره كان يعمل هو الآخر على الفتك به ، فر حسونة هاربا الى ملاكا على ظهر سفينة امريكية (18) ، ومنها انتقل الى فاس بالمغرب الاقصى ، وهناك كاتب زميل له بلندن : «لقد غادرت طرابلس الغرب لاكون بمنجى من الاستبداد والظلم ، حيث ساقتنى الاحداث الى مدينة فاس » (19) .

ومن فاس لم يفتأ يعلن عن براءته : « انى على يقين من نفسى ، ان اجمل التسلية والمساعدة هى تلك التى يمنحها لى اليوم اصدقائى... وستساعدوننى وتعاضدوننى فى هاته القضية ، حتى انال حقوقى من هذا الذى افترى على ، وامحو هاته الشائبة التى لحقت بى ... » (20) .

وقد عرض حسونة الدغيس على زميله سكارلوط رغبته بالالتحاق بلندن : « لو طلب الى السيد درامن (21) او حكومته الموقورة حقيقة هاته الحادثة المشينة ، والتى لا تشرف رجلا انقليزيا شريفا ، حيث كان يعمل

---

(16) مكاكى ، رود لف ، **نفس المصدر** ، ص . 210 .
(17) نرى من المفيد لقرائنا الاطلاع الان على هذا التقرير ، ص . 277 ـ 290 .
(18) **A.E ؛ القسم السياسى ، طرابلس الغرب ، ملف رقم 1** . تقرير الحكومة الفرنسية ، كذلك محضر حسونة الى مجلس العموم البريطانى .
(19) **F.O.** ؛ 76/37 ، رسالة حسونة الدغيس الى صديقه اسكار لوط بتاريخ 20 جويلية 1830 ، راجع الوثيقة رقم 2 المنشورة أثر هاته الدراسة ، ص: 292 ـ 295
(20) **المصدر نفسه** ، لم نتمكن من العثور على معلومات حول شخصية سكارلوط .
(21) هو القنصل الانقليزى بطنجة .

ضد مصالح بلاده ، فانى لا اضن بالرد ، ذلك انى لا اعتقد ان السيد ورنقتن قد امرته حكومته ان يتصرف باستبداد ضدى وبدون سبب • ثم إنه قد عمل على اضطهاد شقيقى فى غيابى عن الولاية ، كما وأن ورنقتن قد اتخذ لتنفيذ اغراضه ، الوثائق المزيفة بطرابلس الغرب • وتستطيعون ان تخبروا السيد درامن انى على أحر من الجمر للوصول الى لندن حتى ادلل من انا ، واعرض عليكم سلوك القنصل الغير اللائق • واذا اردتم انتم او السيد درامن تشريفى بتوجيه رسائلكم ، فليكن ذلك بعنوان سيدى الحاج الطالب بن جلول وزير جلالة سلطان المغرب بفاس ، بحيث انى اذا لم اكن هناك ، فان الوزير المذكور سيسلمها لى فى الاماكن التى سأكون مقيما بها » (22) •

ان الحكومة البريطانية التى هى على علم بطبيعة القنصل الجافة وببطلان وعدم صحة اتهام هاته القضية ، التى استفحل امرها ، نتيجة سلوك ممثلها الاعمى ، (23) قد قبلت عرض حسونة الدغيس للالتحاق بلندن •

ان وزير المستعمرات البريطانى جورج موراى (24) (Georges MURRAY قد ارسل دعوة الى حسونة الدغيس (25) للالتحاق بلندن وعرض قضيته على العدالة ، كما وطلب منه ان يعمل فى المصانع البريطانية فى وزارة المستعمرات •

وقد قبل حسونة ذلك العرض شريطة ، أن تفصل القضية بالمحاكم ، وان تعتبره الحكومة الانقليزية كأحد رعاياها ، وان يمتثل خصمه هو الآخر امام العدالة ، واخيرا ان تناقش القضية امام المحكمة وعلى رأس الملا (26) •

ومن شروط حسونة ايضا ، ان يكون التحاقه بلندن عن طريق ليفورنة وليس عن طريق فرنسا • ولنا ان نتساءل لماذا طلب حسونة الدغيس ذلك ؟

---

(22) **F.O.** ؛ 76/37 ، رسالة من حسونة الى زميله سكارلوط بتاريخ 24 جوان 1830 .

(23) BERNARD, Augustin, **Un mémoire inédit de Pellissier de Reynaud** in, Momorial Henri BASSET, t. XVII, Paris. 1928.

يلاحظ ان ورنقتن قد تزوج البنت الغير الشرعية للملك جورج الرابع ، جون اليزا براس (Jean Elisa PRISE) ومن المحتمل جدا ان تكون تلك الرابطة ، هى التى جعلت الوزراء يتغاضون عن اعماله وتصرفاته .

(24) جنرال ورجل دولة انقليزى ، ولد فى 6 فيفرى 1772 شارك فى حملات هولاندا (1799) ومصر (1801) وهانوفر (1805) وستراكند (1807) . كما اشتغل فى البرتغال واسبانيا وانتخب عضوا فى مجلس العموم البريطانى ثم وزيرا للمستعمرات سنة 1828 .

(25) **F.O**.76/37؛ محضر حسونة الدغيس الى مجلس العموم البريطانى ، راجع الوثيقة رقم 4 ، ص 303-321.

(26) **F.O**.76/37؛ رسالة حسونة الى صديقه سكارلوط ، راجع الوثيقة رقم 2 ، ص . 292-295.

هل للاقاة زميله سيدى الحاج بدوى أو للتعرف على حسين باشا داى الجزائر السابق والمقيم فى ذلك الوقت بمدينة ليفورنة ؟

هل حسونة الدغيس يعرف سابقا حمدان بن عثمان خوجة وحسين باشا ؟ أم هل كان يعمل على التعرف على هذا الاخير ؟

نذهب الى فرضية ان حسونة الدغيس على علاقة بحمدان خوجة وبحسين داى الجزائر السابق · وهذا هو السبب الذى جعل هذا الاخير يكلف حسونة بتقديم قضيته (27) الى سمو الوزير (28) ، « وان يعرض عليه شرح تلك المسألة وان يكون حسونة الدغيس هو الواسطة بينه وبين حكومة فرنسا فى كل المسائل المتعلقة » (29) ·

***

قد وصل حسونة الدغيس الى لندن ليطالب الحكومة الانقليزية بعرض قضية اتهامه من طرف ورنقتن على العدالة البريطانية · غير ان الوزير جورج موراى الذى استدعاه ، قد عزل من منصبه · وتغيرت الظروف السياسية ولم يتمكن حسونة من ايجاد اذن صاغية لشكاياته ، بل على العكس من ذلك ، قد جابه مواقف الكراهية من المسؤولين البريطانيين (30) · وعليه قام حسونة برفع شكاياته الى كل المسؤولين ، وتعددت رسائله اليهم ، ولكن

---

(27) اتهمت الحكومة الفرنسية حسين باشا السابق بمحاولة اثارة شرق الجزائر ضد الفرنسيين ، عندما عثرت على رسائل حسين باشا الى بعض المشائخ .

(28) الدوك دوبروڤلى وزير خارجية فرنسا انذاك .

(29) **A.O.M. ,E. 32**؛ رسالة حسين باشا الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 26 فيفرى 1833 . نستنتج من حواشى هاته الوثيقة ملاحظتين اولاهما : ان حسين باشا طلب من حسونة الدغيس ان يعرض على الحكومة الفرنسية رغبة الباشا فى التوجه الى اسكندرية والحصول على الاذن بذلك . وثانيهما : ان حسونة الدغيس كان صديقا لحسين باشا وحمدان بن عثمان خوجة . راجع نص هاته الرسالة منشورا بـ :
PLANTET, Eugène, Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France, t, 2, pp. 678-579, Paris, 1889.
كذلك راجع : **F.O.** ؛ 3/33 ، رسالة من سان جون ، قنصل انقلترا بالجزائر بتاريخ 20 نوفمبر 1831 ، والتى جاء فيها : « لقد ترك داى الجزائريين موكلا عنه هو حسونة الدغيس الطرابلسى وقد أرسل هذا الاخير مذكرة الى سيدى حمدان خوجة ، طالبا منه رأيه فى الموضوع » .

(30) **F.O.** ؛ **76/33** ، رسالة حسونة الدغيس الى نائب وزير السيد هاى (HAY) بتاريخ 27 اوت 1832 ، وهى محررة باللغة الفرنسية .

بدون جدوى : « لقد كنت وزير لباشا طرابلس الغرب ورجل نبل وأصالة ، ولست حقيرا • لقد جئت استجدى العدالة ضد الظلم فى بلد حر » (31) •

وعندما ظهرت الفتنة بطرابلس الغرب رجع حسونة الى باريس • وقد كتب آنذاك الى وزير خارجية فرنسا الدوك دو بروقلى (Duc De BROGLIE) « لقد كنت بلندن اتابع فيها قضيتى لدى الحكومة البريطانية عندما علمت بنبأ الثورة المحزن بطرابلس الغرب (31 مكرر) ••• وادراكا منى لهاته الاضرار التى ستنزل بالبلاد ، رأيت من واجبى الالتحاق بفرنسا التى اعتبرها وطنى الثانى لاعرض على حكومة جلالة ملك الفرنسيين حامى الحرية ، الوسائل التى يجب اتخاذها ، اذا ما اراد التدخل لانقاذ البلاد من الخطر الذى يتهددها•وهو فى ذلك يقوم تجاهى باقدس عمل • ومن جهتى ، فانى سأقوم بواجبى تجاه بلادى وتجاه فرنسا ايضا ، ذلك ان المصالح مشتركة وهى غير منفصلة ••• » (32) •

وفى مجموع رسائله التى رفعها الى وزير خارجية فرنسا ظهر حسونة بمظهر المخلص للفرنسيين • فبعد ان ابان اسباب الانتفاضة الشعبية بطرابلس الغرب ، طلب تدخل الحكومة الفرنسية التى هى سيدة الجزائر ، ان تعمل على اقرار السلم بالبلاد •

وبذلك قام حسونة الدغيس باعلام وزير الخارجية الفرنسى بانجع الوسائل لنتصرف فى مثل هاته الوضعية ، مبينا السبل التى يجب توخيها لمساندة سيدى على باى ، وباجبار يوسف باشا للتخلى على الحكم لفائدة ابنه الاكبر : « واذا ارادت الحكومة الفرنسية تطبيق هذا الاجراء ، وقبلت مبدأ وساطتها لانقاذ مواطنى ، ثم طلبت منى مزيدا من المعلومات حول الوضعية العامة ، او تحرير بعض الرسائل بالعربية حسب ادراك وعقلية هاته الشعوب ، فان ذلك سينتج عنه الاثر الطيب وسأستجيب لذلك بكل سرور • ومن واجبى ان امتثل لاوامر الحكومة الفرنسية ، وسأسخر كل وقتى لشرح الطرق الواجب

---

(31) F.O. ، 76/33 ؛ رسالة حسونة الدغيس هاته بالفرنسية وهى بتاريخ 25 ماى 1832 وقد وقد رفعها الى وزير المستعمرات السيد قودريك (GODERICH).

(31 مكرر) كان سبب الثورة فى طرابلس الغرب ، هو القرار الذى اتخذه يوسف باشا قرمانلى بفرض ضريبة على سكان المنشية ، والتى كانت معفاة منها ، حتى يتمكن الباشا من تسديد ديونه . غير ان الاهالى قد رفضوا ذلك ، معلنين الثورة ومقرين عزل يوسف باشا واحلال محمد باى مكانه .

تبنيها في مثل هاته الظروف ، والتي يمكن ان تعطى نتائج طيبة لافريقيا وفرنسا ... » (33) .

لقد كان ذلك مشروعا ومسعى غربين قام بهم هذا الملتجىء السياسى الغريب . ان كل كل الوسائل يجب ان تكون صالحة فى نظره ، ليتمكن من التمتع بنفوذه وسلطته السابقة ، بدلا من ان يكون فريسة للمرض والاحتياج والحنين الى الاهل والبلد .

وعلى الرغم من ان قنصل فرنسا بطرابلس الغرب السيد شوبيل (SCHEWBEL) ، الذى كان يؤيد سيدى على ، قد طلب تدخلا عسكريا لفائدة الباشا الجديد ، فان وزير خارجية فرنسا الدوك دو بروقلي ، المعروف بمذهبه التحررى ، قد رد على القنصل بانه : « ليس لنا مصالح خطيرة في الولاية ، حتى نستعمل السلاح لحمايتها ... » (34) .

ومن جهة اخرى فان الوزير الفرنسى قد استقبل حسونة الدغيس بمكتبه بالوزارة ، واظهر له تجاوبا لاقتراحه . ولكن شيئا لم ينفذ اثر تلك المقابلة . وعليه قام حسونة باعادة تذكير الوزير ، غير ان المسعى الثانى هو الآخر ، لم يؤد الى نتيجة .

⁂

ان فعاليات حسونة بباريس قد اخذت وجهة جديدة ، عندما اهتم بالقضية الجزائرية بوصول حمدان بن عثمان خوجة الى باريس (35) .

ان هذين الشخصين الملتجئين الى باريس ، والذين تعوزهما الامكانيات المادية ، كانا يعملان على اثبات حقوقهما لدى السفارة العثمانية بباريس ، وعلى اثارة سخط رجال السياسة الفرنسيين ، الذين عرفوا بمناهضتهم لاحتلال الجزائر . فمنذ وصول حمدان خوجة الى باريس ، عمل هذا الاخير بالاشتراك

---

(32) **A.E. ؛ طرابلس الغرب ، القسم السياسي** ، رسائل بالفرنسية من حسونة الى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 27 سبتمبر 1832 . راجع الوثيقة رقم 3 المنشورة اثر هاته الدراسة،ص 295 ـ 302 .

(33) **المصدر نفسه** .

(34) FERAUD, Charles, **Annales Tripolitaines**, p. 356; Tunis, 1929.

(35) لا نعلم بالتدقيق وبيقين ، اذا كان حسونة يعرف حمدان خوجة قبل سنة 1832 ؟ ولكنه من المحتمل جدا ، ان يكونا قد تعارفا على بعضهما ، اثناء رحلاتهما بانقلترا وفرنسا قبل الاحتلال الفرنسى للجزائر .

مع حسونة على نشر كتاب « **المرآة** » ، مدللا على فضائح الاحتلال الفرنسي للجزائر (36) ٠

لا نملك اى معلومات حول وجهات نظرهما تجاه كل القضايا التى عالجوها ، وهذا راجع الى عدم وجود وثائق تتناول هذا الموضوع بالبحث ٠

ومن جهة اخرى ، اتصل حسونة الدغيس بسفير الدولة العثمانية بلندن السيد نورى أفندى ، ومع مصطفى رشيد باشا السفير العثمانى بباريس ، وعرض عليهما معطيات القضية الطرابلسية والجزائرية ٠

وفيما يخص القضية الاخيرة ، لم يفتأ حسونة يثير انتباه المسؤولين العثمانيين حول قوة الامير عبد القادر والحاج احمد باى قسنطينة،ومصاعتهما للفرنسيين (37) ٠

اما المسألة الطرابلسية فقد دعى السفيرين العثمانيين لمساندة سيدى على، موضحا ان سبب الاضطراب التى كانت الولاية مسرحا له ، راجع الى الدسائس التى ما انفك القنصل الانقليزى ورنقتن ، يحيكها بتأييده محمد باى (38) ٠

وعندما عين مصطفى رشيد باشا ، السفير العثمانى بباريس ولندن على التوالى ، تدخلت الدولة العلية لضم طرابلس الغرب ، الى مركز الدولة العثمانية ٠ وقد راى حسونة ، بطلب من السفير ، ان يشد رحاله الى استنبول ليعمل على ادارة النسخة الفرنسية الرسمية لجريدة « تقويم الوقائع » (39) وليصبح بعد ذلك رئيس تحريرها (40) ٠

وفى استنبول قدم حسونة الدغيس عدة تقارير الى السلطان يحثه فيها على اجراء المباحثات السياسية لاسترجاع الجزائر ، على ان تعهد اليه مهمة ذلك : « ان الوقت هاذا (كذا) هو الذى تمكن فيه المعاطات فى استنقاذ الجزائر وايالتها ورفع حجاب الحماية عن مصطفى باشا والى تونس وبه يتم الامر ٠ لان الاسباب متهيئة والمواد حاضرة بطريق البوليتقة الدائرة بين اهالى الاوروبة ٠٠٠

---

(36) راجع دراستنا الثالثة المنشورة حول كتاب المرآة ، ص . 133 ــ 142 .

(37) **B.A. ، HH. A 47966**؛ رسالة نورى افندى بالتركية الى الباب العالى (1836 ؟)

(38) المراسلات السياسية لمصطفى رشيد باشا عندما كان سفيرا بباريس ولندن) المنشورة فى Tarih Vesikaleri الوثائق التاريخية ج . 2 ، ص . 146 . استنبول ، 1941 .
BAYSUN, Cavid, Musptafa Rasid Pasa Paris ve Londra sefaretleri esnasindaki siyasi yazilari,

(39) يمكن لنا ان نتساءل لماذا لم يقفل حسونة الدغيس راجعا الى طرابلس الغرب بعد ربط الولاية بالبلاد العثمانية سنة 1835 ؟ غير اننا نذكر ان خصمه السياسى ورنقتن ، مازال مقيما بطرابلس الغرب كقنصل لبلاده .

(40) **A.E.** ؛ **تركيا القسم السياسى ، الدفتر ، رقم 273** ، رسالة السفير روسين الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 20 ديسمبر 1836 .

وان طولب الحقير بتفصيل هاته المعاطات ، ووجهها وكيفيتها ، فانه بحول الله وقوته ، يبذل ضعيف جهده ولا يعدم وجه الصواب ان شاء الله تعالى » (41) •

كما قدم حسونة الدغيس ايضا عدة تقارير اخرى متحدثا عن الامة الانقليزية وعن نجاعة ادارتها (41) ، مدللا على ان الانقليز هم اصدقاء العثمانيين الامناء وانه يجب على الباب العالى ان يتعاون معهم لاسترداد الجزائر ، وليحيط كل محاولات قياصرة روسيا لضرب الامبراطورية العثمانية والقضاء عليها (43) •

غير ان الموت عاجل حسونة ، فلم يمكنه من القيام بدور الوسيط وان يؤدى واجبه فى المصالح العثمانية ، و « توفى فى 17 ديسمبر 1836 ، مصابا بمرض الطاعون الذى اودى به فى بضع ساعات » (44) •

***

لقد كانت حياة حسونة الدغيس مضطربة جدا ، وقد ذهب ضحية القنصل ورنقتن عندما رفض مساندة مؤامراته • اما يوسف باشا فقد انحاز الى القنصل ضد صهره ، عندما اتهمه بانه كان وراء اغتيال الماجور لاين والمستحوذ على وثائقه • غير ان حسونة المؤمن ببراءته ذهب للدفاع عن نفسه الى ترجمة كتاب فطل (VATTEL) (45) : Le droit des gens ou principes de la loi naturelle appliqués à la conduite et aux affaires des nations et des souverains • (46)

لقد التجأ حسونة الى اوروبا ، طالبا القصاص من متهميه فى قضية الماجور لاين ، غير انه لم ينجح فى ذلك •

---

(41) 2500 .B.A. HH ، رسالة حسونة هاته الى السلطان وهى بدون تاريخ ، ولكن يبدو انها كتبت قبل وفاته بقليل ، راجع الوثيقة رقم 5 المنشورة اثر هاته الدراسة ، ص .

(42) فى رسالة اخرى يمدح حسونة نظام الانقليز ، للمحافظة على وثائق مستعمراتهم ، هل يكون ذلك دليلا على انه اشتغل بنفس تلك الوزارة ؟

(43) ان هاته الوثائق ستكون موضوع بحث منفرد نأمل القيام به فى مستقبل الايام .

(44) راجع ملحوظة رقم 40 .

(45) 138 YVER, Georges, Mémoire de Sidi Hamdan R.A., 1913; p. 138
ان حمدان خوجة هو الذى اشار الى هاته الترجمة ، غير اننا لا نعلم هل حسونة ترجم النص الكامل للكتاب ام بعض نتفه ؟
وحسب حمدان ، تمت هاته الترجمة من الفرنسية الى العربية بنصها الكامل لانه يذكر بعض المقتطفات من الكتاب الثانى والثالث .

(46) الطبعة الجديدة ، (PRADIER, Fodère, M. R.) ج ، 1 باريس ، 1863 .
' ان كتاب فطل ليس فقط بحث حول حقوق البشر ، بل ايضا دائرة معارف للحقوق المدنية .

اما فى فرنسا فقد حاول اثارة الملك لوى فيليب ضد يوسف باشا قرامنلى ومن المحتمل ان يكون حسونة قد لعب دورا لدى السفير العثمانى بباريس ولندن للاطاحة بيوسف واحلال ابنه مكانه ٠

وبعد الحملة العثمانية الناجحة على طرابلس الغرب ، قبل حسونة ان يعمل فى المصالح العثمانية ، واضعا معرفته باوروبا وبانظمتها وبتاريخ الولايات العثمانية بافريقيا وبعاداتها ، فى خدمة الدولة العلية ٠

لقد حاول حسونة ان يثير اهتمام الباب العالى باحتلال تونس ليجعل من الولايات المغربية الثلاث التى يبلغ سكانها ، حسب رأيه ، خمسة عشر مليونا ، وحدة ادارية تابعة للسلطنة العثمانية (47) ٠

ان حياة حسونة الدغيس والتى حاولنا رسم بعض خطوطها ما زالت تحتاج الى من يلقى عليها الاضواء ، ذلك ان الوثائق التى بين ايدينا ، وهى مصدرنا الوحيد فى ذلك ، لم تمكننا من تعميق معرفتنا حول هاته الشخصية المجهولة٠

غير اننا هدفنا من هاته الدراسة اثارة الاهتمام حول شخصه ؛ والدور الذى قام به على المسرح السياسى المغربى فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ٠

باريس 1970/3/30

(47) لاشك أن سكان تونس والجزائر وليبيا لا يتجاوز ، على أكثر الاحتمالات ، سبعة ملايين خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر .



الدكتور عبد الجليل التميمي

لقد بدأ الباحثون فى استغلال الوثائق التركية المحفوظة باستنبول وانقرة ، واليوم اقدم بابتهاج بالغ عمل السيد عبد الجليل التميمى ، الذى يعد اول مؤرخى المغرب الشبان، حيث ادرك عدم الاكتفاء بالرجوع الى المصادر القديمة ، بل على العكس ، اضاف الى هاته ، الوثائق التى سعى للعثور عليها ودراستها باستنبول ·

ان مجموع دراساته التى يقدمها هنا ، هو الدليل القاطع على سعة وشمول وثائقه ، وسعة معرفته بهاته اللغات الضرورية لتعميق مثل هاته الدراسات حول تاريخ الجزائر وتونس الحديث ·

يمكن لنا ان نعتمد فى المستقبل على السيد عبد الجليل التميمى للعمل على تقدم فن التاريخ ، وانا انتظر منه ان يقدم لنا فى القريب العاجل الحجة القاطعة على ذلــك ·

روبار منتران

ان الوثائق التى عمدتم الى استيفائها من مراجع شتى طالما اهملت لحد الآن ، لتوفر لنا عناصر مستجدة من اجل بعث صورة شاملة واشد مقار
لتاريخ مغربنا ؛ وقد وفقتم الى الاستفادة منها وافادة قرائكم · ويط
انوه هنا بما ابديتموه من وضوح فى الفكر وتوفر على الدقة والعما
استوجبتم به امتنان التاريخ وابناء اسرته ·

محمد الصالح مزالى



الدار التونسية للنشر